بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ مُحَمَّد القباني

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي إلا بالله، وما توكلي ولا اعتمادي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد أمة الحبيب المصطفى ﷺ، أوصيكم ونفسي المخطئة بتقوى الله عز وجل، وأحثكم وإياي على طاعته، وأنهى نفسي وأنهاكم عن معصيته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها الأحبة الكرام: مع دخول هذا الشهر، يَمر أربعة أعوام من الفتن، من البلاء، من المحن، من الشدة، لربما يخطر سؤال عند الكثيرين من الناس، متى فرج الله؟ متى فرج الله؟ هذا السؤال قد يخطر في أذهان كثير من الناس، ولكن السؤال الذي ينبغي أن يخطر في بالنا: ماذا فعلنا نحن حتى يأتي الفرج من الله؟ ماذا فعلنا من أجل استمطار رحمة الله تعالى، من أجل عطفه، من أجل أن يرفع ما نزل في هذا البلد المبارك؟ ما من داء إلا وله دواء، والذي نزل بنا هو داء، لا بد من أن يعالج، المريض إذا ترك داءه من غير دواء هذا المرض سوف يستفحل وربما يودي به، لا بد من المعالجة، وهذا الداء دواؤه في كتاب الله سبحانه وتعالى، دواؤه في سنة رسول الله

ﷺ، كيف وربنا سبحانه وتعالى يقول في محكم تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، هذه معادلة، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، هذه معادلة وهذا وعد إلهي، يجب أن تُحقق هذه المعادلة حتى نظفر بنظرة من الله إلينا، لا بد أن نتحرك، لا بد أن تتحرك، لا بد أن تتغير، لا بد أن تتطور، لا بد أن تصلح، كيف نتحرك؟ ما هو الدواء، ما هي الأسباب التي ينبغي على كل إنسان منا أن يتخذها؟ لا تقل أنا عبد ضعيف، ليس بمقدوري أن أفعل شيء، ليس بمقدوري أن أصنع شيء، ليس بحيلتي شيء، النبي ﷺ يقول: ((إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم)) كل إنسان منا مسؤول، التغيير يبدأ من نفسك، لذلك أيها الأحبة سأبدأ بعون الله تعالى من هذا الأسبوع بالحديث عن أسباب الفرج التي ينبغي لعباد الله أن تتخذها حتى يأتيها الفرج من الله، أسباب التغيير، هذه الأسباب من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، في كل أسبوع نَتعلم سبباً من هذه الأسباب، نُطبقه إن شاء الله تعالى، إذا ما أتى أسبوع آخر نتعلم سبباً آخر، أصبحوا سببان، أصبحوا ثلاثة، أصبحوا أربعة، نحن في تطور دائم، ونحن في تغير دائم، بعدها إن شاء الله ستتحقق هذه المعادلة، وسيتحقق وعد الله تعالى لنا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أول هذه الأسباب التي سأبدأ الحديث عنها اليوم، أبدأه من قصة مع الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه ورحمه، كان الإمام الشافعي يوماً يطوف حول الكعبة، أثناء طوافه مر برجل يدعو ربه ويطوف، يدعو ربه ويقول: اللهم ارض عني (ثلاثاً)، يدعو هذا الدعاء ويكرره، اللهم ارض عني، فاستوقفه الإمام الشافعي، فقال له: يا هذا، أتطلب الرضا من الله سبحانه وتعالى؟ قال: نعم، فسأله قائلاً: هل أنت راض عن الله؟ هل أنت راض عن الله؟ فقال له: يا هذا، ويحك من أنت؟ قال له: مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، فقال له: كيف أرضى أنا عن الله، أنا عبد فقير ذليل، وهو رب

العالمين، كيف لي أن أرضى عن الله، أين أنا من الله سبحانه وتعالى؟ أحبتي لو وقف إنسان واحد مِنَّا في مُحيط هذا المسجد، كم يُساوي بالنسبة لهذا المسجد، جزء، لو وقف في مسجد أكبر؟ الجزء يَصغر يُصبح جزءاً أصغر، لو وقف في أرض واسعة الجزء يَصغر، كم تُساوي أمام دمشق؟ تَصغر، أمام سوريا؟ تصغر، أمام الوطن العربي؟ تصغر، أمام الكرة الأرضية؟ تصغر، أمام السماوات؟ تصغر أكثر فأكثر فأكثر، لا تساوي شيء، فكيف بك مع خالق السماوات والأرض وخالق الكون، لا تساوي شيئاً، هذا الرجل فهم هذا المعنى، قال للإمام الشافعي: كيف أرضى أنا عن الله، أين أنا من الله تعالى؟ فقال له الإمام الشافعي ﷺ: إن كان سرورك بالنِّقمَة كسرورك بالنِّعمَة فأنت راض عن الله، فقد رضيت عن الله، إن قَبلت النِّقمة كما تَقبل النِّعمة فأنت راض عن الله، إن تَقبلت البلاء كما تَتقبل الفرج فأنت راض عن الله، إن رضيت بقضاء الله فأنت راض عن الله، إن تقبلت المرض بصدر رحب وبسرور فأنت راض عن الله، إن تقبلت الفقر بصدر رحب فأنت راض عن الله، إن تقبلت الشدة فأنت راض عن الله، هذا هو الرضا، الرضا علاقة ترابطية، تُريد أن يرضى الله عنك؟ يَجب أن تكون أنت أولاً راضياً عن الله سبحانه وتعالى، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه﴾ [البينة: ٨] هذه العلاقة علاقة ترابطية، حتى يَرضى الله عنك يَجب أن تكون أنت راضياً عن الله تعالى، لا بد أن ترضى بما كتبه الله عليك، وأنت تكون سعيداً ومسروراً به أيضاً، أخرج الطبراني عن ربنا سبحانه تعالى في الحديث القدسي، أنه يقول سبحانه: ((من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليلتمس رباً سواي)).

نحن أمام واقع، الذي أراده الله تعالى واقع لا محالة، رضيت أم لم ترض، سيسر قضاء الله، سيسري فيك، ليس بيدك فعل شيء، قدرك أن ترضى، ولكن فرق بين أن قدري أن أرضى مجبراً، وبين أن أرضى بالإيمان، وأن أرضى بسرور، أن أقول يا رب لك الحمد على كل حال، أن أقول يا رب رَضيت في كل شدة تقع فيني، يا رب

رضيت، اللهم إني أشهدك أني قد رضيت، مع كل فقر يا رب قد رضيت، مع كل بلاء يا رب قد رضيت، مع كل فقد للأحباب يا رب قد رضيت، لله ما أخذ ولله ما أعطى، وإن العين لتدمع والقلب ليخشع، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون، وتدمع عيني رسول الله ﷺ، ابنه، لكنه رضي بقضاء الله، هذا الأمر -أيها الأحبة- نفتقده كثيراً، أخرج مسلم عن العباس عم رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: ((ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً)) هذا ليس كلام، يجب أن تذوق هذا المعنى بقلبك، وفي صحيح مسلم أيضاً، عن النبي ﷺ: ((من قال حين يسمع الأذان: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غفر له ذنبه)) احفظوا هذا -أيها الأحبة- مَن قال حين يسمع الأذان: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، غُفر له ذنبه. ((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابه سراء شكر، فكان خير له، وإن أصابه ضراء صبر، فكان خيراً له)) ولا يكون ذلك إلا للمؤمن، الإيمان يفعل العجائب -أيها الأحبة- ولا يكون ذلك إلا للمؤمن، مهمتك أن ترضى بإيمانك، كيف ترضى بإيمانك؟ أن تكون مسروراً بكل ما كتبه الله عليك، بمرض، بشدة، بضيق، بفقر، بفقد للأحبة، بالبلاء، بالمحن، نسأل الله أن يستبدلها المنح، مُهمتنا أن نرضى، أن نصبر، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] الله سبحانه يثني على سيدنا داود. الواقع -أيها الأحبة- أن أغلب الناس اليوم سوداويون، يَؤوس، قنوط، أخباره سيئة، لن تُفرج، هكذا يقول الناس، لن تُفرج، وهل أنت أكرم من الله، كُن فيكون، عَليك أن تَتخذ الأسباب، والباقي على مسبب الأسباب، والله هذا البلد لا يعاش به، ما في ماء، ما في كهرباء، يا أخي ما هذا الغلاء، ما هذا القنوط، والله لا يجوز، ما هذا الكلام، أين أنت من يا رب لك الحمد، يا رب رضيت، أين أنت من هذا

الكلام، والله لا زلنا بنعم لا تعد ولا تحصى، تَذكر مَن هو أسوء منك، كنا قبل هذه السنوات الأربع في نعم والله لم نعرف قدرها، أصبحنا بحال أسوء، ولا زلنا نحو الأسوء إن لم نرض، ولا زلنا نحن الأسوء، الله تعالى ينظر إلينا، عندما يَجدنا غير راضين خذوا الأسوء، لا زلنا نحو الأسوء إن لم نرض أيها الأحبة، لا بد أن نرضى، بالله عليكم هل نام أحد منكم جائعاً بدون عشاء؟ سؤال اسأله نفسك: هل نام أحد منكم يوماً وهو جائع؟ أي بيت من بيوتنا تدخل عليه، أغلب البيوت فيه طعام يَكفيه أقل شيء شهر، أضعف الإيمان فيه مؤنة لشهر، النبي ﷺ يقول: ((من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه –قوت يوم واحد– فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها)) والله النِّعم التي نحن فيها لا تعد ولا تحصى، تراه ساخط، يوجد أناس مَعهم بالملايين، ربحه في اليوم مَليون، غَداً قلَّ ربحه إلى تسعمائة ألف، والله خسرنا اليوم، ساخط، قَلَّ ربحه قليلاً، خسرنا اليوم، والله لن نعيش بسعادة ما لم نرض عن الله سبحانه تعالى، في الدنيا جنة –أيها الأحبة– في الدنيا جنة، من لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة، كما يقول بعض الصالحين، ولمن خاف مقام ربه جنتان، بعض التفاسير هي جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] الذي يؤكّد هذا المعنى ويُبين هذا المعنى الآية الأخرى ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٦]، هم عرفوها في الدنيا، ذاقوا طعمها في الدنيا، عندما نسمع هذا الكلام نستغرب، جنة في الدنيا؟ لأننا بعيدين عن هذا المعنى –أيها الأحبة– نَظن أنها مبالغة، سَمعت قصة منذ سنوات من أحد علماء دمشق قال: ذَهب لزيارة مريض في مدينة حمص، دخل وسلم ورآه مستلقياً على فراش، سلم وجلس، والتمس من خلال الكلام مع هذا الرجل أنه راض عن الله سبحانه وتعالى، فقال له هذا العالم: أنت إن شاء الله من أجل الجنة، أرجو الله أن تكون من أهل الجنة، لأنه لمس الرضا منه، ماذا تتوقعون أن يكون جواب هذا الرجل؟ قبل أن يقول له هذا العالم ذلك كان قد أخبره أنه على هذه الحال سبعاً

وعشرين سنة، وهو مستلق على الفراش، التمس العالم منه الرضا، وقال له: إن شاء الله أنت من أهل الجنة، ماذا تتوقعون الجواب؟ قال: والله أنا الآن في الجنة، أي لذة هذه؟ قال له: أنا الآن في الجنة، وهو على فراشه منذ سبع وعشرين سنة، ما هذا الرضا، والله تقشعر منه الأبدان، ما هذه اللذة، ما هذه السعادة التي يعيش فيها، بعض الناس يعيشون في قصور، والله لا يشعرون بسعادة، الرضا يفعل بالمرء الشيء الكثير.

يا رب رضينا بك رباً، رضينا بقضائك وقدرك، هذا الأمر -أيها الأحبة- أول أسباب الفرج، لا بد أن نُطبقه، لا بد أن نرضى عن الله، وأن نتقبل النقمة من الله، والمرض من الله، والفقر من الله، والشدة من الله، كما نتقبل الصحة، كما نتقبل العافية، كما نتقبل الغنى، كما نتقبل النعمة، بسرور، نقول يا رب قد رضينا، الذي يُساعدك على هذا المعنى اذهب وزر مشفى من المشافي، انظر حال الناس فيها، والله الذي ينظر لمصيبة غيره تهون عليه مصيبته، انظر إلى الابتلاء الذي بتلي به غيرك يَهون عليك بلاءك، وتقول: يا رب لك الحمد، يا رب لك الحمد على كل حال، اللهم ارزقنا الرضا، وارزقنا الحمد، وارزقنا الشكر، ارزقنا ذلك بقلوبنا قبل أفعالنا، واجعلنا يا ربنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق